المحاضرة الثّالثة:

صوّر النّشاط اللّسانيّ العربيّ

– تمهيد:

وجدت اللّسانيّات العربيّة نفسها أمام ضرورة إقامة وضعٍ جديد في البحث اللّغويّ. وقيام مثل هذا الوضع كان مرتبطًا بضرورة نقل اللّسانيّات الغربيّة من سياقها المعرفيّ إلى سياق ثقافة أخرى هي الثّقافة العربيّة، وبالتّالي كان على اللّسانيين العرب أن يعيدوا النّظر في الموروث اللّغويّ، وقد كان ذلك أدقّ مهمّة واجهت مشروعهم وكانت أساسيّة لتسويغ مشروعيّة هذا الخطاب اللّسانيّ الجديد.

والمقصود بالخطاب اللّسانيّ العربيّ الحديث هو الخطاب الّذي تعكسه الكّتابات اللّسانية الّتي تستند نظريًّا ومنهجيّا للمبادئ الّتي قدّمتها النّظريّات اللّسانيّة في مختلف اتّجاهاتها الأوروبيّة والأمريكيّة في إطار ما أصبح يعرف باللّسانيّات العامة.

فيمكن أن نقول أنّ صور النّشاط اللّسانيّ العربيّ تتمثّل في اتّجاهات حركة التّأليف الّتي تنوعت بين مصنّفات عنيت **بدراسة مستويات اللّغة العربيّة في ضوء الدّراسات اللّسانيّة الحديثة**، وأخرى حاولت **تقديم اللّسانيّات الغربيّة للقارئ العربيّ**، ثمّ تلك الّتي **كرست لنقد النّحو العربيّ من وجهة النّظر الحديثة**، وبين حركة التّرجمة الّتي لم تكن حركة واسعة.

لكن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّه ليس من السّهل تصنيف **الكتابات اللّسانيّة العربيّة الحديثة** بسبب تداخل المواقف والآراء ،وحتّى بالنسبة إلى اللّسانيّ الواحد **"فقد يأخذ بأكثر من موقف دفعة واحدة، أو ينتقل من موقف إلى آخر خلال فترات حياته العلميّة. ونظرًا للتّطوّرات الّتي عرفتها النّظريّات اللّسانيّة فقد عرف الخطاب اللّسانيّ بدوره اتّجاهات متعدّدة الأمر الّذي يجعل كلّ محاولة تستهدف ترتيب الكتابة اللّسانيّة وتصنيفها عمليّة محفوفة بكثير من الصّعوبات".**

فتصنيف وترتيب **الكتابات اللّسانيّة العربيّة الحديثة** يتطلّب إحاطة شاملة وفحصًا دقيقًا لمصادر المادة المعروضة للتّصنيف وضرورة التّحلي برؤية نظريّة شاملة ومنهجيّة عامة وشاملة عن العمل اللّسانيّ بسبب الصّعوبات الآتية:

– استحالة القيام بتصنيف شامل لانعدام استقراء تام لكلّ الأدبيّات اللّسانيّة العربيّة الحديثة.

– عدم استقرار الكتابات اللّسانيّة العربيّة على خط نظريّ واحد، فقد يعرض اللّسانيّ العربيّ بالدّرس والتّحليل لقضيّة معيّنة من وجهة لسانيّة يتّبع فيها أحدث النّظريّات اللّسانيّة، لكنّه سرعان ما يتبنّى في قضيّة أخرى موقفًا تقليديّا يعيد فيه ما قاله القدّماء، وربّما بكيفيّة أقلّ توفيقا. وقد يحصل الانتقال من موقف إلى آخر في ثنايا الدّراسة الواحدة.

– خضوع عمليّة التّصنيف في معظم الحالات لرؤية صاحبها المنهجيّة ولموقفه الشّخصي من اللّسانيّات. ومن ثمّة لا يعدو أن يكون التّصنيف انعكاسًا ذاتيًّا لموقف نظريّ ورؤية منهجيّة معدّة قبليّا.

ومع ذلك فقد خضعت الدّراسات اللّسانيّة العربيّة الحديثة إلى الكثير من التّصنيفات الّتي يمكن القول بأنّها متشابهة إلى حدٍ بعيدٍ. لكن قد يكون أشملها تصنيف **"مصطفى غلفان"** لأنّه وضّح وحدّد معايير تصنيف هذه الكتابات اللّسانيّة، علينا أوّلًا أن نحدّد معايير لتصنيفها، ويحصر هذه المعايير في:

1– الغاية أو الهدف من الدّراسة.

2– موضوع هذه الدّراسة: أهو تراثي أم حيث، أم أنّه مزيج بين الاثنين.

3– المنهج المتّبع في هذه الدّراسة.

وهذه المعايير ترتبط فيما بينها ارتباطًا وثيقًا، حيث نخلص في النّهاية إلى التّصنيف أو التّقسيم نفسه، ويمكن ترجمة ذلك من خلال الجدول الآتي:

الكتابة (الصّنف)	الموضوع	المنهج	الغاية
– كتابة تمهيديّة	– النّظريّات اللّسانيّة: أعلامها، وقضاياها، ومباحثها...	– تعليمي	– تبسيط المعرفة اللّسانيّة.
– لسانيات التّراث	– التّراث اللّغويّ العربيّ	– القراءة وإعادة القراءة	– مقابلة التّراث بالفكر الحديث
– لسانيّات عربيّة	– ظواهر من اللّغة العربيّة	– لسانيّ حديث (تاريخي، وصفي، تقابلي، ...)	– وصف اللّغة العربيّة

ولا تختلف التّصنيفات الأخرى في مضمونها عن هذا التّصنيف كثيرًا، حيث تكاد تجمع على أنّ **الكّتابات اللّسانيّة العربيّة الحديثة** إمّا كتابات **لسانيّة تمهيديّة** تعرّف باللّسانيّات واتّجاهاتها وأعلامها، أو **لسانيّات تراثيّة** تتّخذ التّراث العربيّ موضوعًا لها، أو أنّها **لسانيّات عربيّة** تتّخذ طواهر من اللّغة وتحاول تدريسها.

وسنحاول توضيح هذه التصنيفات وفق النحو الآتي:

1- الكتابات اللسانية العربيّة التّمهيديّة (تقديم النّظريّة اللّسانيّة الغربيّة):

تعرّف الكتابة اللسانية العربية التمهيدية بانها نمط من التأليف في مجال اللسانيات، تهدف لتبسيط المعرفة اللسانية بالنسبة للطالب المبتدئ، لأنّه لا يملك رصيدًا معرفيًّا كافيًّا، وتشّكل الكتابة اللسانية التمهيدية (أو التيسيرية) طريقة في التّأليف لا يمكن لأي علم أن يذيع وينشر بدونها، لذلك من الطّبيعيّ أن يُشكّل هذا النّوع من التّأليف أحد الاهتمامات الأساسية لنشر العلوم وتقريبها إلى القراء.

1-1 دواعي النشأة:

إنّ المتأمل في النّظريات اللسانية الحديثة (على تنوعها وثرائها المعرفيّ) يتأكّد أنّ هذا الكّم المعرفيّ الّذي خلّفه اللسانيون المحدثون بحاجة إلى بسط معرفيّ، ذلك أنّ هذه النظريات اللسانية على اختلاف توجهاتها(بنوية وتوليدية تحويلية ووظيفية تداولية)، إنّما وجّهت حمولتها المعرفية للمتخصّصين الّذين لم يكتسبوا بعد أسس اللسانيات الحديثة، وتتلخص دواعي نشأة اللسانيات التمهيدية في السببين الآتيين:

أ-تبسيط المعرفة اللسانية:

يعدّ تبسيط المعرفة اللسانية من أهم الدوافع الملقاة على عاتق هذا النمط من الكتابة اللسانية، وهذا ما تعكسه عناوين بعض هذه المؤلفات وخطاب مقدّماتها، ومن ذلك كتاب "علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربيّ" لمحمود السّعران، وهو كتاب حاول فيه تهيئة الظروف الموالية للقارئ العربي المبتدئ،

حتى يتسنى له تلقي أصول اللسانيات بأيسر السبل، حيث قال في مقدّمته" **ولذلك مهّدت لكتابي هذا بمقدّمة طويلة شيئا ما تهيئة لذهن القارئ الشادي لتلقي أصول هذا العلم بأيسر السّبل وأدنى مجهود، ولقد حاولت تبسيط هذا العلم ما وسعني التبسيط، مع حرصي على الدّقة والسّلامة، حتّى يستقل القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه ومدارسته، وينتقل منه آمنا إلى مطالعة أصول هذا العلم منقولة إلى العربية أو مكتوبة بلغتها**".

ب–إغناء المكتبة اللسانية العربية:

حاولت الكتابات اللسانية التمهيدية إغناء المكتبة اللسانية العربية، ووصل القارئ المبتدئ بما استجد في ميادين البحث اللساني في أوروبا وأمريكا، وهذا ما نلمحه في مقدّمات هذا النمط من التأليف، ويمكن أن نمثل لذلك بما ورد في مقدمة كتاب " **توطئة لدراسة علم اللّغة" للتهامي الراجي الهاشمي**، حيث يقول:" **أقدم للقارئ العربي هذا المؤلف الذي يفتح سلسلة من الدراسات اللغوية، وهي سلسلة أقصد من ورائها سد الفراغ الخطير الّذي يشتكي منه علم اللّغة في عالمنا العربي، وقد حاولت أن أجمع في هذا العدد كل ما من شأنه أن يعرّف القارئ باللغة موضوع الدرس**".

فالملاحظ على عناوين هذه الكتب وخطابات مقدماتها أنها تسعى جاهدة إلى تبسيط المعرفة اللسانية من جهة، وإغناء المكتبة اللسانية العربية بمراجع حديثة من جهة أخرى.

– الانتقادات التي وجهت للكتابة اللسانية العربية التمهيدية:

على الرّغم من المساهمة المعتبرة للسانيّات التّمهيديّة في تقدّم البحث اللّسانيّ العربيّ في بعض مناحيه، فإنّها لم تسلم في نظر الباحثين من بعض الهفوات الّتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

– الارتباك في تحديد مجال البحث اللّسانيّ: ويرجع هذا الارتباك والغموض إلى طبيعة المصادر الّتي تقدّمها بعض الكتابات التّمهيديّة، وهي مصادر عامة بعيدة نسبيّا عن اللّسانيّات بمعناها العلميّ الدّقيق. كما يفسّر هذا الارتباك بعدم تحديد موضوع اللسانيات تحديدًا دقيقًا، فالمتتبّع لموضوعات الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة، وتحليلها يلاحظ أنّها حصرت مجالات اللسانيات في نطاقها الواسع، أي

دراسة اللّغة في إطارها العام تاريخيّا، وحضاريّا، واجتماعيّا، ونفسيّا، ولم تهتم بالمبادئ اللّسانيّة العامة إلّا في حالات النّادرة.

– غياب تقنيّات التّحليل اللّسانيّ: يشكّل الجانب التّقنيّ أحد الجوانب الأساسية الّتي تتوسّل بها اللّسانيّات في فرض منهجيّة علميّة للتّحليل، غير أنّ الأمر في الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة ليس على هذه الشّاكلة. حيث يمكن القول إنّه من النّادر وجود كتابة تعرض التّقنيّة المتّبعة في التّحليل اللّسانيّ، أي أدوات تقنيّة وطرق إجرائيّة في التّحليل المباشر للّغة. رغم أنّ أغلبيّة الكتابات اللّسانيّة التّمهيديّة ذات منحًى وصفي بالأساس، فإنّها لم تعمل على تقديم المنهجيّة المتّبعة في هذا الاتّجاه من اتّجاهات الكتابات اللّسانيّة الحديثة.

– عدم مواكبة النّظريّات اللّسانيّة: تتميّز النّظريّات اللّسانيّة بالتّجدّد، وخاصة النّماذج المتأخّرة منها، كتلك الّتي عرفها النّحو التّوليديّ، والنّحو الوظيفيّ، غير أنّ المطّلع على الكتابات اللّسانيّة العربيّة التّمهيديّة يجد أنّها لا تسير على هذه الخطى فهي لا تواكب في مجملها التّطوّرات الّتي حصلت في البحث اللّسانيّ الحديث، وما عرفته النّظريّات من تغييرات وتطوّرات جديدة، وتكاد المرحلة الّتي تتناولها الكتابة التّمهيديّة المرحلة البنيويّة، في إطارها البنيويّ في انجلترا.

2– الكتابات التّراثيّة:

حاولت الكتابات اللسانية العربية التراثية إحياء التراث وبعثه من جديد وفق نظرة حداثية؛ حيث تهدف إلى استنطاق التراث العربي، والاستفادة من البحوث اللسانية الحديثة والمعاصرة، إذ تزوّدنا بتقنيّات منهجيّة ضابطة تعيننا على الكشف والتّحليل، ومن الطّبيعيّ أن يكون التّراث هو ميدان المعركة الأوّل بين حاملي العلم الوافد والّذين يعدّون أنفسهم حماة التّراث. كما أنّ هذا الميدان كان هو الميدان الوحيد الّذي يمكن فيه اللّسانيّات الحديثة أن تثبت جداها في حلّ الإشكالات وتفسير الغوامض والتماس العلل لكلّ ما قصرت وسائل البحث التّقليديّة عن القيام به.

إنّ أوّل ملاحظة يمكن تسجيلها بخصوص هذا الوضع في نظر الباحث **"أنّ المنهجيّة المعروفة بالقراءة أو إعادة القراءة، لا تجيب بالتّحديد عن جملة من الأسئلة منها: ماذا نقرا؟ وكيف**

نقرأ؟ في ضوء ماذا نقرأ؟ إنّها أسئلة تجعل الكتابة اللّسانيّة القرائيّة لا تستند إلى أساس نظريّ أو منهجيّ محدّد لعدم استناد القراءة نفسها إلى وضع ابستمولوجي محدّد في غياب منهجيّة واضحة المعالم".

إنّ الهدف هنا هو الكشف عن بعض القضايا النّظريّة والمنهجيّة العامة الّتي تثيرها لسانيات التّراث، والكشف عن النّتائج المرتّبة عن ذلك؛ فالقراءة في هذا النّمط من اللّسانيّات تطرح إشكالات كثيرة منها جملة من القضايا الفكريّة تبقى أهمّها إشكاليّة "هويّة" التّراث اللّغويّ وعلاقته بالنّظريّات اللّسانيّة وتنوّعها، فـ" إذا تناولنا مثلا المستوى النّحويّ لهذا التّراث اللّغويّ، فإنّنا نعرف أنّه يشكّل منظومة مرجعيّة خاصة بالثّقافة العربيّة الإسلاميّة القديمة. إنّه نسق فكري وضع في فترة تاريخيّة محدّدة نتيجة عوامل معيّنة، وقام على أساس فكريّة معيّنة باعتباره جزءًا من بنية ثقافيّة عامة هي الثّقافة العربيّة بمختلف مكوّناتها الحضاريّة (فكريّة واجتماعيّة وسياسيّة ودينيّة) غير أنّ تعدّد القراءات يفقد التّراث اللّغويّ العربيّ خصوصيّته الحضاريّة، وذلك عندما نجعله قابلا لأن يصاغ حاضرا ومستقبلا في أيّ نظريّة لسانيّة ممكنة اليوم وغدا. ما تنتهي إليه القراءة أنّه كلّما ظهرت نظريّة لسانيّة جديدة فإنّ النّحو العربيّ يكون قادرًا على احتوائها".

إنّ القراءة في **لسانيّات التراث** تهدف إلى البرهنة على صحّة البحوث اللّغويّة العربيّة من خلال مقابلتها بالبحوث اللّسانيّة، وهي مقارنة تقوم على التّصويت الكلّي للبحوث اللّغويّة، والبحوث اللّسانيّة في الوقت نفسه، وهو يتنافى في منظور الباحث مع مفهوم النّظريّة وشروطها إذ يجب أن تكون النّظريّة قابلة للإبطال أو على الأقلّ قابلة للتّجاوز، في حين يكون ما تنادي به لسانيّات التّراث المتمثّل في قابليّة الفكر اللّغويّ العربيّ للقولبة والاندماج في مجموع النّظريّات اللّسانيّة الحديثة أمرًا مستحيلا فلا يمكن –على الأقلّ من النّاحية النّظريّة– البرهنة على صحّة النّظريّات، كلّ ما يمكن القيام به هو البرهنة على خطئها، وكلّ نظريّة لا تقبل الإبطال والدّحض هي ميتافيزيقيا "إنّ الفرق بين العلم والميتافيزيقيا هو الإبطال".

إنّ ما تقدّمه لسانيّات التراث يجعل أصالة التّراث العربيّ مرتبطة أساسا بهذا الشّكل من المقابلة، وهذا يعني أنّه لا وجود للتّراث اللّغويّ العربيّ ولا لأصالته إلّا بالارتباط المباشر بالنّظريّات اللّسانيّة الحديثة.

وبهذه الطّريقة أصبحت اللّسانيّات الغربيّة الحديثة مقياسا لتقويم أصالة التّراث العربيّ القديم لكن الأصل أنّ "أصالة هذا الفكر مرتبطة بالإطار الحضاريّ العربيّ الاسلاميّ وبالشّروط التّاريخيّة الّتي وجّهت التّفكير اللّغويّ العربيّ في المسار الّذي سار فيه بكلّ الملابسات والأبعاد المعروفة.

وبالتّالي قراءة التّراث العربيّ تكون بالرّجوع بالنّصوص القديمة في إطارها الّذي قيلت فيه، وليس بمطابقتها مع ما هو حديث وما هو غربي تحديدًا.

وهذا ما يجب أن يكون لأنّ النّظر في مبادئ التّراث وتقييمها أمر مشروع، خاصة إذا كان الهدف هو تطوير الفكر اللّغويّ العربيّ القديم، وكان هذا النّظر يعتمد قواعد البحث اللّسانيّ السّليم بعيدا عن الذّاتيّة وعن التّأويل، لكن النّظر إلى القراءة الّتي تقدّمها لسانيّات التّراث يكشف أنّها "أقرب ما تكون إلى العمل الفيلولوجيّ من حيث إنّها تضع الشّروح المساعدة على فهم النّصوص القديمة. إنّ القارئ في مجال التراث العربيّ ليس إلّا شارحًا وفيلولوجيّا، إنّه يحاول أن يضع الشّروح المساعدة على فهم النّصوص القديمة فيجد نفسه من أجل تقريب فكر قديم من معاصريه (...) يلجأ إلى استعمال ألفاظ وتعابير جديدة.

وبالتّالي يجب على الكتابة العربيّة اللّسانيّة الحديثة البحث عن الطّرق الكفيلة بدراسة اللّغة العربيّة وفق ما يقتضيه منطق الدّراسة العلميّة وما يقدّمه من أدوات إجرائيّة.

3- الكتابة اللسانية العربية(تطبيق المناهج الغربيّة على النّصوص العربيّة):

الواضح من العنوان أنّ أصحاب هذا الاتّجاه قاموا بتطبيق النّتائج الّتي قدّمتها المناهج الغربيّة الحديثة على النّصوص العربيّة، وبالتّالي استفادت من المناهج اللّسانيّة، وذلك من خلال اعتمادها على ثلاثة اتّجاهات:

- اتّجاه بنيوي وصفي.

– اتّجاه توليدي تحويلي.

– اتّجاه تداولي وظيفي.

3–1 الاتّجاه البنويّ (الوصفيّ):

يرتبط ظهور المنهج البنيوي الوصفي بالعالم اللّغويّ السويسري **"فرديناند دي سوسير"**، حيث اعتمد هذا الأخير على الوحدات الشّكليّة في تقييم الكلام المنطوق بالانتقال من المركب إلى البسيط، وأصبحت "ثورة في عالم الدّراسات اللّغويّة، بما فعلته في ساحة هذه الدّراسات فحوّلت مسارها من قصرها على الدّراسات الفيلولوجيّة على اللّغات.

وهذا ما حاولت الكتابات اللّسانيّة الوصفيّة العربيّة تطبيقه على اللّغة العربيّة لكنّها "لم تنطلق –كما فعل اللسانيين الغربيين– من طبيعة اللّغة العربيّة في عمليّة الوصف هاته مكتفيّة بمحاولة التّطبيق لبعض المفاهيم الّتي روّجتها اللّسانيّات الوصفيّة".

كما تميز تعامل الكتابات اللسانية الوصفية مع مبادئ اللسانيات العامة بالتبسيط، واتسم تعاملها مع قضايا اللغة العربية من الناحية الوصفية بكثير من السطحية بسبب انعدام التحليل الوصفي العميق. فالكتابة الوصفيّة فعلا لم تنطلق من طبيعة اللّغة العربيّة في عمليّة الوصف هاته كما فعل اللّسانيّون الغربيّون. بل اكتفت بمحاولة التّطبيق لبعض المفاهيم الوصفيّة الشّائعة.

3–2 الاتّجاه التّوليديّ التّحويليّ:

ظهرت المدرسة التوليديّة التّحويليّة في أمريكا على يد العالم اللّغويّ "نوام تشومسكي" (N.Chomsky)، بعد ثورة لغويّة كبرى في الرّبع الأخير من القرن العشرين. وقد انتبه إلى أهميّة هذه الدّراسات أكثر من واحد من المثقّفين العرب، وذلك في بداية السّبعينات من القرن العشرين فظهر ما يعرف بالكتابة اللّسانيّة التّوليديّة العربيّة.

وقد واكبت هذه الكتابات بعض التّطوّرات الّتي عرفتها **نظريّة النّحو التّوليدي التّحويلي**، لذلك اتّسمت هذه الكتابات بتعدّد مصادرها وأصولها واختلاف النّماذج التّوليديّة الّتي تمّ من خلالها النّظر إلى قضايا اللّغة العربيّة. وقد نتج عن هذا التّعدّد جملة من التّحاليل الّتي تتبنّى وصف اللّغة

العربيّة توليديّا، وأبرز هذه المحاولات محاولة "**عبد القادر الفاسي الفهري**"، محاولة "**خليل أحمد عمايرة**"، بالإضافة إلى جهود "**مازن الوعر**"، وغيرهم.

لقد عرضت بعض الكتابات النّقديّة بتفصيل الأطر النّظريّة والمنهجيّة للنّظريّة التّوليديّة والتّغيّرات الّتي عرفتها في نظمها الأصليّة لتصل إلى الكشف عن خصوصيّات الكتابة التّوليديّة في الثّقافة العربيّة.

والمتتبّع لمسار الدّرس التّوليديّ في الثّقافة العربيّة يلاحظ أنّ الكتابة التّوليديّة العربيّة قد تمكّنت **"من تقديم جملة من الاقتراحات الجديدة المتعلّقة بطبيعة البنيات العربيّة صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة ومعجما. وجاءت بعض هذه الكتابات مضاهية شكلا ومضمونا لنظيرتها الغربيّة الأمريكيّة وأوروبيّة من عدّة أوجه، في مقدّمتها تقيّدها المطلق بشروط وقواعد البحث العلميّ اللّسانيّ وخطابه"**.

لقد عرفت النّماذج التّوليديّة تطوّرات متلاحقة، فرضت على كلّ باحث في إطار البحث اللّسانيّ التّوليديّ مواكبة المستجدّات والمتغيّرات الطارئة، فقد "**أصبحت دراسة اللّغة العربيّة محكومة بجملة من الأصول والمفاهيم النّظريّة والمنهجيّة المضبوطة، فبدون معرفة الإطار الّذي تندرج فيه هذه الكتابة أو تلك، لا يمكن بأيّ حال من الأحوال إدراك طبيعة تحليل المقدّمة ونتائجها النّظريّة. فلم يعد ينظر للغة العربيّة نظرة حرّة اعتباطيّة قائمة على التّأمّل والانطباع، وإنّما تتقيّد المقاربة بالإطار النّظريّ للنّموذج الّتي تشتغل فيه وتحاول تطبيقه على اللّغة العربيّة مستعملة مجموعة من وسائل الاستدلال والبرهنة على ما تقوم به**".

وبالتّالي فقد حقّقت الكتابة التّوليديّة التّحويليّة مجموعة من الأهداف من خلال هذه المجهودات المتواصلة، ويمكن تلخيص هذه الأهداف في:

– تمكّنها من صياغة قواعد للظّواهر اللّغويّة المدروسة تتّسم بالبساطة والوضوح والأناقة، على غرار ما هو معروف في النّحو التّوليديّ.

– تقديم قواعد عامة تفسّر المعطيات تفسيرًا شموليّا، وهذا ما نجده في كتابات عبد القادر الفاسي الفهري، وداود عبده مثلا.

وهذه المجهودات المتواصلة جعلت الكتابة اللّسانيّة التّوليديّة العربيّة تخضع لتعدّد المناهج اللّسانيّة وهو تعدّد تلخّص إيجابياته في:

- إثراء البحث اللّسانيّ العربيّ.
- تقريب الدّرس اللّسانيّ العربيّ من واقع البحث اللّساني العلمي.
- تعميق المعرفة العلميّة باللّغة العربيّة.
- إثارة إشكالات جديدة واقتراح الحلول المنهجيّة الممكنة.
- التّحليل العميق والشّامل للغة العربيّة.

لكن هذا لا يعني أنّ **الكتابة التّوليديّة العربيّة** تجاوزت كلّ الصّعوبات، وإنّما هناك بعض الصّعوبات الّتي لخّصها الدّارسون في:

- عدم تقديم بحث توليدي كامل للّغة العربيّة.
- تناولها التّجزيئي لقضايا اللّغة العربيّة والخلط بين النّماذج اللّسانيّة، والسّبب في ذلك أنّ التّعامل مع النّماذج اللّسانيّة اتّسم برؤية مرحليّة لا تبحث عن المعالجة الشموليّة لظواهر اللّغة العربيّة وإنّما عن تقديم أشتات ومنوعات من التّحليل التّوليدي الذي ينحصر في الاشتغال بمواد لغويّة منتقاة من اللّغة العربيّة أو مترجمة من لغات أجنبيّة تلائم النموذج المقترح، وبالتّالي تكون الحصيلة وجود فراغات وقفزات في نحو اللّغة العربيّة التوليدي.
- عدم التّدقيق في فرضياتها ومدى ملاءمتها للغة العربيّة.
- أمّا فيما يخصّ الموضوعات والقضايا التي يقترحها التوليديون، فيلاحظ أنّهم يكتفون بتقديم اللّبنات الأولى، وهي لبنات أشبه ما تكون بتقارير عامة عن برامج العمل الّتي يرومون البحث فيها مستقبلا. لكنهم سرعان ما يتحوّلون إلى موضوعات جديدة مطبّقين ما ظهر من افتراضات جديدة في البحث اللّسانيّ التّوليديّ دون أن يعودوا –إلّا نادرا– لتعميق البحث والتّحليل فيما تمّ وضعه من لبنات أولى والدّفع بها نحو صياغة شاملة وعامة تأخذ بعين الاعتبار الظّواهر المدروسة في تكاملها.

3-3الاتّجاه التّداوليّ الوظيفيّ:

إنّ المتتبّع لمسيرة اللّسانيّات الوظيفيّة ولمصادرها الأساسة يلاحظ أنّ تلك المصادر موزّعة بين **المنطق والفلسفة اللّغويّة وبعض النّظريّات الحديثة** "، ومن المصادر الأساسيّة في **المنطق** يمكننا ذكر أعمال **"كارناب"** و" **راسل**" المتعلّقة بظواهر الإحالة والتضمّنات وعلاقة الدّلالة بالتّركيب.

أمّا **المصادر الفلسفيّة** فتشمل أعمال **"شارل موريس"** في نهاية الثلاثينات من هذا القرن العشرين، حيث قسّم **"موريس"** مجال البحث السّيميائيّ إلى مستويات ثلاثة: **التّركيب، الدّلالة والتّداول.**

كما ساهمت **المباحث الفلسفيّة الحديثة** في تطوّر بعض مظاهر الدّرس اللّسانيّ في الاتّجاه التّداولي الوظيفي. ويتعلّق الأمر بما عرف **بفلسفة اللّغة العاديّة أو الفلسفة التّحليليّة.** ومن روّاد هذا الاتّجاه "أوستين" على سبيل التّمثيل لا الحصر.

ومن خلال عرض **"مصطفى غلفان"** لتلك المصادر والأسس استنتج غياب أي اهتمام حقيقي بالدّراسات التّداوليّة العصريّة في الثّقافة العربيّة، والمحاولة الوحيدة الّتي وقف عليها في محاولة "طه عبد الرّحمن" وهو أحد المفكّرين العرب الأوائل الّذين **عرّفوا بالفكر التّداوليّ**، وحاولوا تطبيقه في بعض اتجاهات الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، فقد اهتمّ **"طه عبد الرّحمن"** بالقضايا التّداوليّة من وجهة نظر منطقيّة وفلسفيّة مستمدًا وسائله النّظريّة والمنهجيّة من علمين حقّقا نتائج باهرة، هما: "اللّسانيّات والمنطق". وقد اكتسبت هذه النّظريّة رؤية منهجيّة ناقدة تنمّ عن وعي كبير بأهميّة المنهج العلميّ.

كما عرفت **اللّسانيّات الوظيفيّة** تطوّرات متلاحقة تمثّلت في أعمال **"مدرسة براغ"**، وأعمال **اللّسانيين التشيكيين** المعروفة بالوجهة الوظيفيّة للجملة والمدرسة **النّسقيّة** (لندن)، وهذا ما عرضت له الكتب بالدّرس والتّحليل، كما عرضت لمبادئ **النّحو الوظيفي** وبنيته العامة المتمثّلة في البنية الحمليّة، والبنية الوظيفيّة، والنية المكوّنيّة، وتبنى هذه البنيات بتطبيق ثلاثة أنواع من القواعد: قواعد الأساس، وقوعد إسناد الوظائف التّركيبيّة، والتّداوليّة، وقواعد التّعبير، لتصل بعد ذلك إلى نحو اللّغة العربيّة الوظيفي الّذي تمثّله كتابات **"أحمد المتوكّل"**، وهي تتم عن متابعة دقيقة لتطوّرات نظرية النّحو الوظيفي الّذي وضعه **"سيمون ديك"**، كما تتميز هذه الكتابات **بوحدة الرؤية النّظريّة**

والمنهجيّة، المحددة بأصول اللّسانيات الوظيفيّة وتكييفها مع معطيات اللّغة العربيّة، وترتب عن هذه الوحدة في الأسس النّظريّة النظرة الشموليّة لظواهر اللّغة العربيّة المدروسة والتكامل فيما بينها. وقد مكنّه ذلك من وضع جزء هام من "نحو اللّغة العربيّة الوظيفي".

وهذه بعض الصّفات النّظريّة والمنهجيّة الّتي ميزت البحث اللّسانيّ العربيّ، وهي مميزات تكشف عن اختلاف وتفاوت واضحين بين اللّسانيين العرب كلّ على حسب اتجاهه وطريقته في التعامل مع المعطيات اللّسانيّة الغربية الحديثة، ومع التّراث اللّغويّ العربيّ، وكذا طبيعة اللّغة العربيّة في حدّ ذاتها، وهذه الاختلافات هي الّتي حكمت عجز ونجاح هذه الاتّجاهات في تحقيق أهدافها والسمو بالدّرس اللّسانيّ العربيّ الحديث وتوجيهه وجهة صحيحة تتسم بالدّقة والضّبط كما سبق ذكر ذلك.